

التداولية المفهوم، المنهج والإجراء

خديجة بوخشة

أستاذة مساعدة - ب -

كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية

جامعة سعيدة

saida.khadija@yahoo.fr

الملخص:

كثيرا ما نقول أكثر مما نقصد، أو نقصد أكثر مما نقول، وقد نلجأ للتلميح أو التصريح، وننجز أفعالا كلامية لها قوتها الإنجازية وبعدها التأثيري على المتلقي... وهذه المفاهيم تهتم بها التداولية؛ هي باختصار علم يبحث في مقاصد المتكلمين أو دراسة اللغة أثناء الاستعمال مراعية في ذلك المقدرة الإبلاغية للعبارة اللغوية.

لقد تطورت التداولية كثيرا بفضل الجهود التي قام بها اللسانيون وفلاسفة لغة أمريكيون مثل أوستين Austin وسيرل Searle وغرايس Grice. وقد كان اللسانيون حتى عهد قريب يبعدون المعنى عن موضوع دراساتهم بسبب طبيعته المعقدة التي تتداخل فيها مجالات بحثية مختلفة كاللسافة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها.

وقد سبق لـ "موريس" في تمييزه الثلاثي المشهور بين حقول السيميائيات (التراكيب والدلالة والتداولية) أن ذكر أن علم التراكيب يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية وعلم الدلالة يدرس علاقاتها بالأشياء، والتداولية تدرس علاقة العلامات بمفسيها. ويعود هذا التصنيف الثلاثي إلى بيرس Peirce، وإن كان موريس هو أول من رسمه بوضوح، وأيده كارناب.

وفي السنوات الأولى من السبعينيات قصر البحث في التداولية على ما يعرف بنظرية أفعال الكلام، ثم بدأ الاهتمام يتمحور على الدراسات العملية في تحليل المحادثة التي قام بها غرايس في سنة 1975م في ما يسميه بأصول المحادثة من خلال مقاله "المنطق والمحادثة". تهتم التداولية بالمتكلم والمخاطب والسياق الخارجي والزمان والمكان وتبحث في مقاصد المتكلمين.

يهدف هذا البحث -التداولية المفهوم المنهج والإجراء- إلى استقصاء أهم الآليات والمفاهيم والمصطلحات التي انطوى عليها الدرس التداولي. الكلمات المفتاحية:

التداولية: علم يبحث في مقاصد المتكلمين أو دراسة اللغة أثناء الاستعمال مراعية في ذلك المقدرة الإبداعية للعبارة اللغوية. أفعال الكلام: تنطلق نظرية الأفعال الكلامية من أن العبارة اللغوية للمتكلم في سياق محدد تتحول إلى أفعال إنجازية ذات أبعاد اجتماعية وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي Performative، وما ينتج عنه من فعل تأثيري، يتعلق الأمر بمعرفة ما يتم إنجازه عبر استعمال اللغة في وضعية تواصلية معينة. ويُعتبر "أوستين" Austin من أوائل المؤسسين لنظرية أفعال الكلام وطورها فيما بعد تلميذه سيرل Searle حيث حاول تصنيف الأفعال الكلامية

متضمنات القول "Les implicites": أثناء الحديث نضمّن في قولنا أمورا لا نذكرها بصريح العبارة، وهذا ما يدعى بـ "متضمنات القول" Les implicites، ويتعلق هذا المفهوم برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، وتتشكل متضمنات القول من نمطين وهما: الافتراض المسبق Présupposition والقول المضمر Les sous-entendus. 1- الافتراض المسبق هو الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة.

2 - القول المضمر : يختلف تأويل كل قول حسب السياق الذي يرد فيه، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها، لذلك فهو معنى خفي متضمن في القول يُفسّر ضمن السياق الذي وُجد فيه، وقد يكون مخالفا تماما للمعنى الحرفي.

- الاستلزام الحواري: l'implication conversationnelle

لاحظ "بول غرايس" Grice أن الجملة قد تخرج عن معناها الحرفي إلى معنى استلزامي؛ حيث يرى أن بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الكلمات فكل قول يثير جزئيا أقوالا أخرى يضمها، لذلك تعد فكرة متضمنات القول فكرة مركزية في مبدأ الحوار، لأنها تجعل المتخاطبين يتبعون بعض القواعد الاستلزامية أثناء التواصل. حدد بول غرايس مبدأ التعاون وأربعة مبادئ للحوار (الكم، وكيف

والمناسبة والجهة) ورأى أنه إن تم خرق أحد هذه المبادئ يحدث الاستلزام الحوارى وقد درسه سيرل من خلال الأفعال الكلامية غير المباشرة.

مفهوم التداولية:Pragmatique¹

شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في الحقل المفاهيمي، فبينما اهتم اللسانيون بالبنى اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح جديد يحيل إلى رؤية خاصة للغة، إنه مصطلح "التداولية"، يقول "طه عبد الرحمن": «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات"² مقابلًا للمصطلح "براغماتية"، لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معاً³، ويحيل هذا المصطلح إلى كل ما هو مادي ومحسوس مطابق للحقيقة، غير أن هذا المصطلحPragmatique مازال يشوبه بعض الغموض، لذا ينبغي توضيحه أكثر لتبيين مجالاته.

فهناك ترجمات أخرى لمصطلح مثل البراغماتية والنفعية والذرائعية، و«يعود أصل تسمية البراغماتية» أو الذرائعية الجديدة إلى منظري السيمياء مثل تشارلز موريس، وتشالرس ساندروز بيرس، وجون ديوي على وجه الخصوص. وتختلف دلالاتها حسب الحقل الذي نبعت منه: كالفلسفة واللسانيات، والاتصال...⁴. فالذرائعية أقرب إلى المصطلح الأدبي منه إلى اللغوي، مع الانتباه إلى عدم الخلط بين التداولية والمذهب البراغماتي Pragmatisme هو المذهب الفلسفي الذي يحدّد على كل ما له أهمية للبشر، ويتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة.

¹ ظهر مصطلح Pragmatique من الأصل اليوناني Pragma الذي يعني العمل action ومنه اشتقت الصفة اليونانية Pragmatikos الذي يحيل على كل ما يتعلّق بمعاني العمل... ابتداءً من القرن السابع عشر ميلادي انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت Pragmatique تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يقضي إلى تطبيقات ذات ثمار عمّلية» ينظر: الطاهر لوصيف: التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006، ص 6.

² مصطلح تداوليات- الذي أطلقه طه عبد الرحمن- إلى مصطلح شامل لذا اخترنا مصطلح التداولية لربطه بالمجال اللساني فقط. لأنّ هناك "تداوليات متعددة: تداولية البلاغيين الجدد... تداولية اللسانيين، وتداولية المناطق والفلاسفة"، حفناوي بعلي: التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، العدد 17، جانفي 2006، ص 50.

³ طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب؛ الطبعة الثانية 2000، ص 28.

⁴ حفناوي بعلي: التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006، ص 59.

انتقل البحث اللساني من الدراسة التي تخلص للنظام اللساني "langue" - من "دي سوسير" Saussure إلى "تشومسكي" Chomsky - إلى دراسة لسانية تركز على التوجه الاتصالي والوظيفي بالبحث في الكلام Parole والاستعمال اللغوي؛ فـ«الجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين، ردود فعل المخاطبين، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطاب... الخ بالمقابل للجانب النحوي الخواص الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية والعلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم»¹.

فإذا كان علم التراكيب يهتم بعلاقة الأدلة فيما بينها أي العلاقات الداخلية بين الألفاظ، وكان علم الدلالة يعالج علاقة الأدلة بالواقع أو علاقة الألفاظ بالعالم الخارجي؛ فإن مصطلح التداولية تعددت تعريفاته وإن كانت جميعها تصب في دراسة اللغة في الاستعمال. وأقدم تعريف للتداولية جاء به "تشارلز مورييس" C. Mouris " سنة

1938 وهي في نظره «تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملاتها»²، غير أنه تعريف يشتمل اللسانيات والسيمانيات على حد السواء، كما أنه يتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.

أما "جاك موشلار" Jaque Moeschler وأن ربول Anne Reboul فقد ربطا مفهوم التداولية بالمجال اللساني، ففي القاموس الموسوعي للتداولية تُعرف بأنها «دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة»³؛ فإن كانت الدراسات السابقة قد قسمت اللغة إلى لسان وكلام Langue et Parole واهتمت بدراسة اللسان لتوخي العلمية والموضوعية، فأقصت بذلك الكلام من دراستها لكونه فرديا ويصعب التحكم في آلياته، فإن التداولية اهتمت بدراسة الكلام أو الاستعمال اللغوي، غير أن «عملية توجيه التحليل نحو الكلام ليس مجرد دراسة لـ"الكلام" بالمصطلح السوسيري، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة في كليتها بما فيها الكلام»⁴، فهي دراسة

¹Jean Dubois et des autres, Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, Paris 1973, p.388

²فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986، ص 8.

³Jaque Moeschler- Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil 1994, P.17.

⁴فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007 ص 55-56.

تشمل اللغة من مختلف جوانبها؛ أي دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية أي تداولها عمليا.

يقول "فردناند هالين" محاولا ضبط مفهوم التداولية: "لنضع مقابلة (سوسير) بين اللسان والكلام موضع السؤال، ولنرفض اعتبار التداولية أن ليس في وسعها أن تكون موضوع دراسة منظمة. تهدف التداولية إلى بلورة نظرية لأفعال الكلام، أي نماذج مجردة، أو مقولات تصدق على السلوكات الملموسة والشخصية التي ننجزها ونحن نتكلم"⁽¹⁾.

يربط "منقونو" Maiguenneau الدراسة التداولية بالسياق؛ فهو يرى أنّ «المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها»² حيث تسعى التداولية إلى تحديد قصد المتكلم من خلال سياق محدد. ومن خلال تحديد السياق يمكن استخراج متضمنات القول، فالتداولية تدرس «الطريقة التي يستخرج بها المخاطب مقترحات ضمنية من خلال ما يقال له داخل سياق مفرد، وخاصة عندما تكون العبارة مخصصة لإطلاق استدلال ما...»³ حيث يحاول "منقونو" Maiguenneau بهذا التعريف إبراز البعد التداولي للمعنى الضمني L'implicite من خلال دراسة العلاقة بين المعنى والسياق.

أما "ماري ديير" Marie Diller و"فرانسوا ريكاناتي" François Récanati فقد اقترحا تعريفا آخر وهو أنّ التداولية هي «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية»⁴ ذلك أنّ التداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية، وتدرس بذلك دلالة اللغة في الاستعمال، وهذا ما يجمعه تعريف "فرانيسيس جاك" F. Jacques الذي يرى أنّ «التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً»⁵.

تسعى التداولية إلى دراسة الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، وتكمن أهميتها في كونها تهتم «بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية

¹ فردناند هالين: التداولية، ترجمة وبّاح محمد، مجلة الفكر والنقد، العدد 24، السنة الثالثة، ديسمبر 1999، ص 155.

² دومينيك منقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2005-2006، ص 98.

³ Dominique Maiguenneau: Aborder la linguistique, Édition du Seuil collections Mémo, paris P.29

⁴ فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش ص 8.

⁵ نفسه، ص 8.

للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي»¹، كما أنها تبحث في «كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم»² ومن هنا فإنّ مفهوم التداولية يتعدى حدود البنية اللغوية؛ لتبحث في الأقوال والعلاقة بين المتخاطبين في سياق محدد، فتدرس العناصر الذاتية في الخطاب كالضمان والمبهمات الزمانية والمكانية كما تدرس التلميح والتصريح وكذلك القوانين التي تضبط الخطاب والحجاج، وتحاول التداولية إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيات إنتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته.

انطلاقاً مما سبق يتضح لنا أنّ التداولية هي دراسة لسانية تحاول تفسير المقاصد الكلامية من خلال وضعية كلامية محددة مع تحديد السياق والزمان والمكان ومراتب المتخاطبين من أجل الوصول إلى العملية الذهنية التي تسهم في إنتاج القول وفهمه، وبالتالي وضع قواعد تحكم الاستعمال اللغوي، إنها تبدأ من لحظة إنتاج الملفوظ إلى تحديد القصد وما يمكن أن ينشئه الفعل الكلامي من تأثير في المتلقي.

ولما كان الهدف الذي يتوسمه البحث في الأخذ بتلك المصطلحات التي ينطوي عليها الجهاز المفاهيمي التداولي قصد الإسهام في إجلاء أهم الأبعاد المعرفية المشتركة (سواءً على مستوى التنظير أم الإجراء)، سنقوم بتسليط الضوء على أهم النظريات التي يكتنفها هذا الجهاز المفاهيمي.

تتسم المباحث التداولية بسمة الثراء الشديد لذلك قامت فرانسواز أرمنيكو F.Armengaud بعرض أهم المقاربات التداولية على برنامج هنس Hansson الذي أسس تداولية ذات درجات ثلاث.

الدرجات الثلاث للتداولية:

حاول هنس Hansson التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية من خلال هذه الدرجات التي تحدّد فكرة المرور التدريجي من مستوى إلى آخر.

ترتكز التداولية في تحليل الإنتاج اللغوي على السياق Contexte، وهو «مجمّل الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والاستعمال اللساني... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية

¹ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005، ص15.

² أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002، ص12.

والتجارب والمعارف الشائعة بينهما على حد السواء»¹ ومظاهر السياق هذه يتم وضعها في الاعتبار بالنسبة إلى كل درجة، كما أن السياق يتعدى من درجة إلى أخرى.

ومعظم النظريات التي انبثقت عن التداولية تركز على السياق حيث «أضحى هذا التصور الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلية النظريات التداولية، وقد أفضى ذلك إلى ظهور ثلاثة تيارات مختلفة ومتداخلة في الوقت نفسه تشكل النسق العام لما يسمى بنظريات التداولية»²، وهذه الدرجات هي:

1- تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية:

وتتعلق بالعلامات الإشارية من مثل (أنا، هنا، الآن) التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث، ولا تتحدد إحالات هذه الرموز إلا من خلال السياق الذي تُوظف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها.

1-2 تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلية:

وتدرس الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفي، وفي هذا المستوى يتم توسيع مفهوم السياق «من سياق الموضوعة وكشف الإحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عند المخاطبين كـ "حدس" وكما في سياق الموضوعة يقع التدخل لرفع الإبهامات في الجمل كذلك، حتى وهي لا تشتمل على إشارات وتعبر عن قضايا مختلفة بحسب السياق»³ فقد يكون معنى الجملة مبهما بالرغم من عدم احتوائها على إشارات. تسعى تداولية الدرجة الثانية إلى معرفة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلمحي، والنظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة هي «نظرية قوانين الخطاب وأحكام أو مسلمات المحادثة حسب التسمية—وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالاقتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج، أما السياق في هذا النمط؛ فهو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون»⁴. وللكشف عن

¹ Jean Dubois et des autres: Dictionnaire de linguistique, p.120.

² عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003، ص12.

³ فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص51.

⁴ عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص13.

مقصدية العبارة اللغوية ينبغي تجاوز المعنى الحرفي والبحث عما يتضمنه القول من معنى غير مباشر.

1-3-تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية:

وتشتمل الدراسات التي تضم نظريات الأفعال الكلامية و« تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية»¹. وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي Performative، يتعلق الأمر بمعرفة ما يتم إنجازه عبر استعمال اللغة في وضعية تواصلية معينة. ويُعتبر "أوستين" Austin من أوائل المؤسسين لنظرية أفعال الكلام، وكان ذلك بفضل مجموعة من الأعمال من أهمها: "تطبيقية نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبي عند ويليام جيمس"؛ فقد قدم تمييزات دقيقة لأفعال الكلام.

وقد طور هذه التصنيفات أكثر تلميذه "سيرل" Searle، ومن خلال الدرجات الثلاثة للتداولية نجد أنّ هذه النظريات - في الحقيقة - متداخلة ومتراصة فيما بينها، وهذا ما سيتضح لنا أكثر من خلال المفاهيم التداولية الآتية.

2- أبرز مصطلحات التداولية:

2-1-متضمنات القول: Les implicites

كثيرا ما نقصد أكثر مما نقول، بمعنى أننا نضمّن في قولنا أمورا لا نذكرها بصريح العبارة، وهذا ما يدعى بـ"متضمنات القول" Les implicites، ويتعلق هذا المفهوم بـ«رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»²، وتتشكل متضمنات القول من نمطين وهما الافتراض المسبق Présupposition والقول المضمر- Les sous-entendus فالمتخاطبون ينطلقون من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم؛ فالافتراض المسبق هو «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»³.

¹ المرجع السابق، ص13.

² مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص30.

³ نفسه، ص31.

يختلف تأويل كل قول حسب السياق الذي يرد فيه، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها، لذلك فإن "أوركينيوني" Orecchioni تعرف القول المضمّر أو الضمني بأنه «كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»¹ فالقول المضمّر هو معنى خفي متضمن في القول يُفسّر ضمن السياق الذي وُجد فيه، وقد يكون مخالفا تماما للمعنى الحرفي.

2-2-الاستلزام الحواري: l'implication conversationnelle

لاحظ "بول غرايس" Grice أنّ الجملة قد تخرج عن معناها الحرفي إلى معنى استلزامي؛ حيث يرى أنّ «بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الكلمات... فكل قول ينشر جزئيا أقوالا أخرى يضمها أو يخلقها بوعي أو بدونه داخل نظام دائري، حيث الكل متماسك»²، لذلك تعد فكرة متضمنات القول فكرة مركزية في مبدأ الحوار، لأنها تجعل المتخاطبين يتبعون بعض القواعد الاستلزامية أثناء التواصل.

وقد يسعى المتكلم إلى تبليغ سامعه بأمر ما على نحو غير مباشر وهو على دراية بأنّ سامعه قادرٌ على الوصول إلى قصده، حيث ينبني الاستلزام الحواري على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من الحوار، وصيغة "مبدأ التعاون" هي «ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه»³، وبسهم هذا المبدأ في تسهيل التفاهم وتحقيق التأثير وإنجاز الفعل، ويجب على المتكلم «أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدع لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا بل إنه يسخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملاح... ليجد من المخاطب نفسه متعاوننا متمثلا في الإصغاء ومحاولة الفهم»⁴ ويشتمل مبدأ التعاون على أربع مسلمات فرعية⁵ هي: الكم والكيف والمناسبة والطريقة.

1- مسلمة الكم: (القدر) Quantité اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار، لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

¹ نفسه، ص32.

² عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب 2006، ص47.

³ طه عبد الرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص103.

⁴ نواري سعودي أب وزيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط1، 2009، ص30-31.

⁵ ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص33-34.

2- مسلمة الكيف (النوعية)Qualité لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

3- مسلمة الملاءمة: pertinence لتكون مشاركتك ملائمة، أي مناسبة للحديث.

4- مسلمة الجهة(الطريقة)Modalité : تنصّ على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية وهي:-ابتعد عن اللبس - تحرّ الإيجاز - تحرّ الترتيب.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحوارية إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة، فيحاول المتلقي البحث عن المعنى الحقيقي المضمر متجاوزا المعنى الحرفي ليفهم قصد المتكلم، وهذا ما يسميه "سيرل" Searle "الفعل الكلامي غير المباشر، والواقع ان المجاز والاستعارات تعد فعلا كلاميا غير مباشر فيه يخرق المتكلم قاعدة الكيف.

2-3-الأفعال الكلامية:Les actes de langage

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه "أوستين" Austin "في المحاضرات الإثنا عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه "How to do think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire"⁽¹⁾. "عندما نقول نفعل" إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، واستأنفت بعد ذلك من طرف "سيرل" Searle.

2-3-1- تصنيف أوستين "Austin" للأفعال الكلامية:

ترتكز نظرية "أوستين" Austin على فكرة الإنجازية، والتي مفادها أن بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا(مثل الوعد، التحذير...) ويحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز. قام أوستين "Austin" بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية(الوصفية) فوجد أنّ «قول شيء ما على وجه مخصوص هو

¹voire Patrick Charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discours édition du seuil, Février 2002 Paris, VI^{ème}, P 16.

إنجازه، من أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات أعتذر، إني متأسف... أما العبارات الإنجازية: أدم رأيي، أنتبأ، أتوقع... وشرط العبارات الإنجازية هو ملائمتها للواقع (الإنجاز الحقيقي)¹ فالوعود مثلا تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم ينجزه عند قوله (أعد بذلك) هو في الواقع (يعد) أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقوله، يرى بول ريكور أنه " قد يُدمج الفعل بقطب الواقعة في جدل الواقعة والمعنى، لكن هذا الفعل أيضا يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، إذ يجب أن يعبر عن الفعل بصيغة ضمير المتكلم"²، والأفعال الكلامية سواء أكانت أوامر أو رغبات أو أسئلة أو تحذيرات أو إثباتات، فضلا عن قولها شيئا ما، تنجز شيئا، وتترتب عليها آثار من خلال القول.

والجمل الوصفية لا يقصد بها أن تخبر عن أمر أو تبلغ معرفة عن حدث واقع و«يكمن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه»³، لكن أوستين لاحظ أن تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف هي:

- فعل الكلام (فعل القول Acte locutoire): هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المعنى والمرجع.

- الفعل الإنجازي (قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول Acte Illocutoire): وهو «فعل اتفاقي مبني على التواطؤ والمواضعة، إنه فعل مؤدى ومنجز طبقا للتواضع»⁴ وهو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، أمر، تحذير، وعد...)

- الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام Acte perlocutoire): وهو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه، ف«عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه

¹ ينظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ص 100.

² بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2 ص 41.

³ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009 ص 90.

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ص 155.

حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته»¹.
كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء... وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق.

يرى جورج مولينيه في كتابه الأسلوبية أن "الفعل الكلامي الذي يتسم بكونه أدبيا هو "تأثيريا"، أو لا يكون شيئا. فالأدبية هي إنجازية performativité مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية، أي أن الفعل الخلاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء"² وهذا يحيل على علاقة التداولية بالأدبية من جهة وبالأسلوبية من جهة أخرى ويقترح "أوستين" Austin خمسة أقسام للأفعال الكلامية:

- 1 الحكميات Verdictifs: وتتمثل في الحكم نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف، التشخيص، الوصف...
 - 2- التنفيذيات Exercitifs: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، الاستقالة، التوسل... وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.
 - 3- الوعديات Promissifs: وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف لأنها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل "الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية..."
 - 4- السلوكيات Comportatifs: والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم والتحدي.
 - 5- العرضيات Expositifs: وتسمى كذلك "التفسيريات" الهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح...³
- ويمكن تلخيص تصنيف أوستين "Austin" كما يلي «إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإلزامي

¹ السابق، ص156.

² جورج مولينيه : الأسلوبية ترجمة: بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2/ 1427-2006م ص160

³ ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص62.

هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات»¹. يبدو تصنيف "أوستين" Austin مفتوحاً ومرناً، لذلك حاول "سيرل" "Searle" بتطوير نظرية أفعال الكلام عند أوستين واقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.

2-3-2- تصنيف "سيرل" Searle للأفعال الكلامية:

إن اختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل "سيرل" Searle يعيد هذا التصنيف، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقاً للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنه جعل المستمع يفعل شيئاً، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئاً وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب" هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك.

وقد ميز "سيرل" Searle بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

- 1- "جون" يفرط في التدخين.
 - 2- هل يفرط "جون" في التدخين؟
 - 3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".
 - 4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.
- فإننا نقوم بأربعة أمور: عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم بفعل التلفظ (الصوتي، التركيبي) acte d'énonciation، والملاحظ أن هذه العبارات تشترك في المحتوى القضوي acte propositionnel (التدخين المفرط لـ "جون") لكن لكل عبارة منها فعل إنجازي acte illocutionnaire (الإخبار، السؤال، الأمر، التمني...) وكل عبارة تخلف نتائج معينة (الفعل التأثيري acte perlocutionnaire)².

¹ صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993، ص224.

² Voir J. R. Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996, P.60-62

كما فرق "سيرل" Searle بين "الأفعال الكلامية المباشرة" و "الأفعال الكلامية غير المباشرة"، وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

1- التأكيديات (Assertifs) (التقريريات): هدفها «هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئاً ما هو واقعة حقيقية، وتعهد كذلك بصدق قضية ما»¹. وتهدف إلى جعل الكلمات تطابق العالم.

2- التوجيهيات Directifs: هدفها دفع المرسل إلى فعل شيء ما، ويحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء²، وتسمى كذلك (الأوامر)، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات.

3- الالتزاميات Commissifs: هدفها التزام المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل (التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند "أوستين" Austin.

4- التعبيريات Expressifs: والهدف منها هو «التعبير عن حالة سيكولوجية محددة»³ وشرط هذه الحالة النفسية هو عقد النية والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و«بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليمثل الكلمات لتمثيل العالم»⁴، والملاحظ أن التعبيريات توافق إجمالاً السلوكيات في تصنيف "أوستين" Austin.

5- التصريحيات Déclarations: وتسمى كذلك الإدلاءات هدفها جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح... ويمكن تلخيص تصنيف سيرل Searle كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأشياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياء، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات

¹ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص123.

² ينظر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص123.

³ صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص234.

⁴ نفسه، ص234.

بمنطوق بعينه في آن واحد»¹، وإن قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك.

2-3-3 الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة:

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا لذلك مَيَز "سيرل" Searle بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول، توجيهه، وحالته السيكلوجية...² وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة لـ "غرايس" Grice، ثم يرى أن الأفعال المباشرة هي: «التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب»³

أما بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى...»⁴ تمثل الاستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية مَيَز "سيرل" Searle بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر، ولقد «حدّد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم.

ومن خلال ما سبق تتضح لنا أهمية التداولية، فهي مشروع شاسع يهتم بالخطاب والتواصل بشكل عام يضم: المحادثة والإنجاز والتضمين والحجاج... نستشف أن التداولية تنطوي على قدر كبير ومتعدد من المحاور والآليات، ولا نزع أننا تعرضنا في السطور السالفة إلى كل جوانب هذا الدرس اللغوي المعاصر؛ بل هناك الكثير من النظريات التي اكتنفتها التداولية وتبنتها بالسير وفقها في تعاملها مع اللغة كالنظرية

¹ صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص 237-238.

² ينظر فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 63.

³ الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 137.

⁴ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ص 68

الحجاجية، ونظرية الملازمة..الخ.
théorie de l'argumentation، والنظرية التلفظية de
l'énonciation، ونظرية الملازمة..الخ.

المصادر والمراجع:

- 1- أحمد محمود نخلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية 2002.
- 2- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991.
- 3- بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغاتمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2.
- 4- جورج مولينيه : الأسلوبية ترجمة: بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1427 هـ-2006م
- 5- حفناوي بعلي: التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، العدد 17، جانفي 2006
- 6- دومينيك منقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2005-2006.
- 7- صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط 1-1993.
- 8- الطاهر لوصيف: التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006.
- 9- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 2000.
- 10- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب 2006.
- 11- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط 1، 2003.
- 12- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986.
- 13- فرناند هالين: التداولية، ترجمة وبّا محمد، مجلة الفكر والنقد، العدد 24، السنة الثالثة، ديسمبر 1999.
- 14- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007.
- 15- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005.
- 16- نوارى سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط 1، 2009.
- 17- Dominique Maingueneau: Aborder la linguistique, Édition du Seuil collections Mémo, paris
- 18- Jaque Moeschler- Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil 1994.
- 19- Jean Dubois et des autres, Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, Paris 1973
- 20- J. R. Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996
- 21- Patrick Charaudeau. Dominique Maingueneau. Dictionnaire Analyse du discours édition du seuil, Février 2002 Paris, VI^{ème}